والاختلافات الايديولوجية والسياسية ما بين الاحزاب والسيطرة شبه الكاملة لحزب المباي على مجمل الحياة السياسية في البلاد . وفي النهاية يدرس المؤلف العلاقة بين نظام الاحزاب والنظام السياسي وكذلك بين السلطة السياسية ويحلل دور المعارضة في مثل هذا النظام .

لا شك ان هذا الكتاب يشكل وثيقة هامة وعلى جانب كبير من الموضوعية بالنسبة الى المهتمين بدراسة المجتمع السياسي الاسرائيلي من خلال احزابه التي تعبر عن الاختيارات السياسية المصيرية للرأي العام . فهو قد شرح لنا بتعمق وتفصيل طبيعة العلاقة الجدلية والعضوية بين الاحزاب من جهة وبين الرأي العام من جهة اخرى وما ينتج عن هذه العلاقة من قرارات واختيارات تؤثر على مجمل سياسة اسرائيل الخارجية . كما ان أهمية هذا الكتاب تكمن في المعلومات الغزيرة التي من الصعب العثور عليها في كتاب واحد والتي يرجع فضل تجميعها تجميعا ذكيا ومنطقيا الى هذا الكتاب .

ان الباحث الذي يريد ان يتعمق في دراسة الاحزاب السياسية لا بل وحتى الحياة الاسرائيلية ، سوف يجد في هذا الكتاب مرجعا ثمينا ومهما . الا اننا اذا تجاوزنا حدود هذه الدراسة الاكاديمية والتقنية لندخل الى مجال السياسة الآنية او بالاحرى الى مجال التحليلات السياسية ، كما فعل المؤلف في المقدمة والخاتمة فاننا سوف نجد الكثير من الثغرات . فالاستنتاجات والفرضيات التي يريد الكاتب ان يقنعنا بها ، تشكو من عدة نقاط ضعف . لنأخذ مثلا على ذلك : يقول المؤلف ان موضوع هذه الدراسة هو تحليل القوى السياسية في اسرائيل . لماذا ؟ لان القوى السياسية هي في اساس الحلول السياسية (صفحة ١٤) . ومن هنا فان المؤلف يستنتج ان القوى السياسية في اسرائيل هي التي تحدد ، بشكل اساسي ، طبيعة الحل الذي ترتئيه للصراع العربي الاسرائيلي . وهنا يغيب عن بال الكاتب دور القوى الخارجية في صنع سياسة اسرائيل وبشكل خاص الولايات المتحدة الاميركية او بالاحرى فهو يقلل من فعالية هذا الدور . فهو يقول : « اننا نعتقد شخصيا ، مثل الكثير غيرنا، ان بامكان الضغط الاميركي ان يكون قويا جدا ولكننا لا نعتقد بان هذا الضغط يمكن ان يكون حاسما . ان الولايات المتحدة الاميركية تبدو كأب لم يعد بامكانه ان يرد احد ابنائه المتمردين الى الصواب » . ان هذا الاستنتاج يقلل من قيمة العلاقة العضوية والارتباط المصيري بين الولايات المتحدة واسرائيل . فالذي يحصل ليس مجرد تمرد ابن على سلطة ابيه ، بل هو ، في رأينا ، تواطؤ اكيد وان كان خفيا احيانا ، قائم على مصالح واهداف استراتيجية مشتركة . ان القول بأن الاحزاب الاسرائيلية هي مركز الثقل في تكوين وصياغة الاختيار السياسي يصح اذا اخذنا اسرائيل بحد ذاتها اي بمعزل عن المحيط الخارجي الذي تعمل ضمنه وبه . الا ان هذا المقولة سرعان ما تتهاوى وتتهافت عندما توضع اسرائيل في موضعها الطبيعي . غير انه من الواجب ان نضيف ونستدرك بسرعة بان مثل هذه الاستنتاجات تظل « مجرد اراء شخصية » حسب تعبير المؤلف نفسه ، كما انها لا تنتقص من قيمة وعلمية الكتاب شيئا . بالاضافة الى ذلك يستعرض المؤلف الاتجاهات والمواقف الاساسية التي ، على حد قوله ، بامكانها ان تؤثر على مجرى الاحداث وتؤدي الى حل للصراع او الى مأزق صعب . وهذه الاتجاهات والمواقف تتمثل عبر خمس قوى وهي القوى السياسية في اسرائيل ، الرأي العام الاسرائيلي ، قسم لا بأس به من المثقفين الاسرائيليين (اوري افنيري) ، المنظمات الفلسطينية ، والدول العربية المعنية مباشرة بالصراع . هنا ايضا نرى المؤلف يهمل اهمية الواقع الدولي وارتباط الحل ، الى حد ما ، به .

على كل حال ، فان هذه الانتقادات لا تتناول الا الجانب السياسي من الكتاب وهو لا يشكل الا جزءا صغيرا فيه . اما الجانب الوثائقي فيكاد يكون افضل ما كتبه وجمعه عربي في هذا المجال سواء من ناحية المنهج ام من ناحية المحتوى . ان الجهد الذي بذله ريمون صايغ في هذه الدراسة العلمية يؤكد ، مرة اخرى ، ان العقل العربي قد استفاد كثيرا من تجربة نكسة حزيران اذ ان الروح التحليلية والمنهجية قد حلت محل التعميمات والتبسيطات التي كانت تتميز بها معظم الابحاث المتعلقة بالصراع العربي الاسرائيلي .

ان هذه الاطروحة هي ، في النهاية ، مساهمة حقيقية في اغناء مكتبة الابحاث العربية المتخصصة في دراسة المجتمع الاسرائيلي دون تشنجات ذاتية وهي من هذه الناحية ، تشكل ردا متواضعا جدا ولكنه اكيد على هزيمة العقل الاعلامي العربي .

الياس نجم